العراق ١٩٩٥/٧/٢٢
العدد (٥٨٠٨)

من النملة .. فصاعدا

مسعود محمد

ولا اكتمك ياقارىء
اني أخيب من قمع الندم ومحاسبة الذات على التلذذ بكبد دجاجة أو صدر خروف وتعروني قشعريرة الاستنكار لمنظر الدم المتفجر والجثة المختلجة إذ تغوص

السكين أعمق وأعمق في مخانق الضحية في مهرجان للسلخ والملخ تمهيداً لتحريك الشهية وتطمين الرغبة الى لقيمات مغريات يصفو بها مزاج الاكل حين يدير يداً مرتاحة على معدة ملانة ثم وسنانه تهضم على مهل ما التهمته لترتاح به في نومة القيلولة .. تلك حالنا وهي رغم تبريراتنا المعللة المفلسفة مشابهة من كل وجه لما يفعله الذئب بالثعلب والغنم وما يفعله الثعلب بالارنب والقبج على جهل منه بالتبريرات والتسبيبات وأهازيج الفرح يوم يكثر في زواج الادمي الثري .. ولها صور أخرى من المسالخ الادمية ياتي بيانها لم يتفطن الى ابتداع مثلها خيال البهائم الكليل الضرير ..

لا جرم ان انبعاث الحياة ودواتها منذ مليارات السنين من هذه القاعدة الضارية المتمثلة في التهام الحي لحي مثله سمة بشعة لعينة تدين الحياة بالجور والقسوة في لب توهجها فالحياة ذروة الخلق ومعجزته الكبرى وباب ارتياد الحقائق العظمى في الكون الفسيح الذي يعجز الامكان عن تصور مداه وقد صار البشر وارث هذا الارتياد دون جميع الموجودات من حي وميت بما كان له من عامل (العقل) الذي خرج به الى الارادة الواعية من أحكام الغريزة العجماء ، وبقيت منقصة الذبح والسلخ لصيقة به كالمعى الاعور فكانت شرخاً كبيرا في كيانه المعنوي يستنزف حظاً ملحوظاً من تمام خلقه حتى ان الكثيرين من عظماء البشرية أقلعوا عن تناول اللحم قهراً لشهية تساوي البشر بالضواري ، منهم أبو العلاء المعري إذ مرض وضعف فاتوه بمرق الدجاج لعله يستعيد به بعض قوته فقال : ما منعكم ان تاتوني بمرق شبل الاسد ؟ أم انكم استضعفتم الفروج فذبحتموه ؟ ومن المتاخرين قدوة الطريقة القادرية الشيخ كاك أحمد من السليمانية من نحو قرن مضى إذ جاءه عصفور فحط على كتفه من بين حشود المحيطين به فسالوه عن سر اختيار العصفور لشخصه فقال : انه لم يشتم من طعامي رائحة اللحم فاستامنني ! ومن الديانات ما يحرم قتل الحيوان بشكل مطلق وهو من الفضائل العظمى في ميزان التجرد الخالص من التبريرات ، لكن الغرابة تاتي من كون اتباعه يمارسون قتل البشر ، كما أظن ، عند اللزوم !!

هذه التجربة الصغيرة المذكورة ضمن هذه الحلقة من عنائي في تجنب سحق النمل امام باب غرفتي تذكرني بحديث يعزى الى النبي العربي (ص) يقول : شيبتني سورهود ، أية فاستقم كما أمرت .. وقد سمعته مرويا لا مكتوباً ، ولك أن تجرب هذه الاستقامة في إلزام نفسك باعطاء مسكين قطعة نقد صغيرة في وقت معين من كل يوم فستجد ان ذلك يكلفك من الامر ما لا طاقة لك به فهو في أيسر تبعاته يلزم منهج عملك أن تترك كل الضرورات والمصالح في الوقت المخصوص باداء النذر على مدى العمر ، ومن مطاليبه ان تترك السفر مطلقاً الا إذا لجات إلى التامين بتوكيل غيرك في الوفاء بالنذر .. والتاويل باب الى التحلل من الموعود :

وللحديث صلة

الوفاق ١٩٩٥/٧/٢٩

العدد ٥٨١٢

من النملة .. فصاعدا

مسعود محمد

مأساة النمل بباب غرفتي قامت بدورها ، منذ زمان بعيد ، في حفز بصيرتي الى استشفاف حقيقة الحال في وجود وانتقاء (الرحمة) بعالم الاحياء فهي بسبب دقة تكوينها واستتار مشاغلها عن الفطنة العجلة خليقة أن تثير في العين اليقظة حب الاستطلاع لمعرفة الدقائق والخفايا سواء في الطبيعة أو في عالم الأحياء عموماً وعالم الانسان خصوصاً فالظاهر أن رؤية الاشياء الروتينية البادية الظهور تفقد قابلية تحريك رغبة المتفرج اللامعتنى للحملقة في اسباب حدوثها حتى ان صوت الشجار اليومي بدار جاره يصبح في مرتبة طبل السحور من حيث تحريك الاستغراب فقد يكون عدم الشجار وعدم دوي الطبل مستدعياً للسؤال .. الطيور تطير ، والسمك يسبح ، والغبار يتصاعد .. ثم ماذا ؟ انها أمور مألوفة ومحتومة ومفروغ منها بل صارت الطيارات مألوفة كالطير ويكون عدم طيرانها غريباً ومستدعيا للاستفسار حتى يحصل الجواب عليه كأن يكون السبب هو الحصار مثلا .. مع ان فن الطيران باق حيث كان من الخطورة ومستمر في زيادة الخطورة وفي صعود مراتب التكنيك . والذي قلته من قدم معاناتي مع مأساة النمل بباب غرفتي قد قصدت به وتيرة حياتي الواعية في منح الاشياء ما تستحق من اعتبار بضمنها فترة معيشتي بهذه الغرفة وهي حوالي عشرين سنة فالواقع هو أني متحسس بالحيثيات الصغيرة المماثلة منذ ما يبلغ ستين سنة لحد يومي الراهن [٢٧ / ٥ / ١٩٩٥] ولا ابالغ اذا قلت ان بعضاً من اهتماماتي اللصيقة بحياتي اليومية وبالاشياء الشديدة القرب مني ترجع الى عمر الطفولة المبكرة وقد ذكرت بعضها في (رحلة حياتي) المشروحة بالكردية منها ما يرجع الى عمر ما قبل الدراسة الابتدائية لطفل في عامه الرابع فاذكر من نماذجه ان مفهوم (القريب والبعيد) تعين لي باعتبار الاشياء في متناول اليد والسمع والاستعمال هي القريبة وأن الاماكن التي يذهب اليها الناس ويعودون منها بعد اختفائهم عن النظر هي البعيدة أما الأفق الذي تتصل فيه حافة السماء بحافة الارض فهو خارج حسابات القرب والبعد . ولا اظنني كنت في راحة أو طمانينة وأنا امارس في خفاء وسكوت حل أحجيات كثيرة تتعاقب على نظري وحسي ولا اجد لها جوابا فقد شغلني انتقال النور المنعكس من مرآة تواجه الشمس فتقطع المسافات البعيدة في طرفة عين واهتاجت دنياي عليّ أول ما أدركت من عمر مبكر جداً سر التوالد والتناسل وأضن أن ذلك كان أحد الاسباب في تاخر زواجي الى ما بعد سن الاربعين ... وهذه حقيقة أقولها لاول مرة !

على اي حال ان هذه الخمائر الضئيلة الاهمية نسبيا ، اذا قيست الى قضايا السياسة والعقيدة والاقتصاد والاعراف ، عايشتني عمري كله وهي تكبر معي في العمق والاتساع ويتصل دقيقها بجسيمها لتملأ خارطة معقولاتي في صورة متناغمة الاجزاء تتجاور على غير قلق أو تذبذب ناشيء من فقدان الاتساق فيما بينهما .

العراق ١٩٩٥/٨/٢
العدد ٥٨٢٨

من النملة .. فصاعداً

□ مسعود محمد

وروائه وتقواه وفجوره ولعل في أتخاذ أصغر المقاييس معياراً للرحمة ونقائضها فضل دقة في جوهر المسائل وترابطها على خط مستقيم او في انتقاض بعضها على بعض وانقلاب الشيء الى ضده بحسب اقتضاء الدواعي ذلك أن ادراك موضع النقطة في الكلمة ، بل في الحرف الواحد ، أحرى ان يكون في محة قراءة الكتب بداية أصلب قراراً من تعويم النظر في صحيفة كاملة فانت اذا تأكدت من وجود ثلاث نقاط في كلمة (سر) علمت انها (شر) ولها مدلولها المقبول في الجملة وليس لك أن تتخذ من سطر كامل مقياساً لصحة أي شيء فالكلام يبدأ بالحرف وبالكلمة تنشأ منها الجملة ومن الجملة سطور ومن السطور الكتب والخطب .

انا أعلم علم اليقين كما تعلم ان الدنيا من حولنا ليست مرابع للهو ومراتع للفرفشة ومصاطب تلقى عليها وصايا ابن الفارض وزهديات ابي العتاهية حتى ان الشوارع في اقرب أرض من جلدك صارت مسبعة ومهلكة لم تعد تدرى فيها هل أمانك مرتبط بسيارة تسرع بك اذا داهمك الخطر أم أن السيارة نفسها مبعث الخوف على راكبها من حرامية يقتلون صاحبها توصلا الى امتلاك السيارة فبافتراض اختفاء الابالسة الكبار ، ولن يختفوا في زمان قريب ، تبقى مشكلة العدوان من عامة الناس لعامة الناس في مراتبهم المتفاوتة لاسيما في عالمنا الثالث ، هما كبيراً وكبيراً جدا يخيم علينا كالغيمة المطبقة المدلهمة لا تكاد تفلت أحداً ويكون حظ المسؤولية فيها متفاوتاً بتفاوت القدرة على العدوان كقاعدة عامة ، ولكن حظ مجموع المقهورين العاجزين عن ردع المعتدى الكبير اعظم من حظ ابليس نفسه كما يكون حظ الغنم من الذهب وراء كل قياس فليس يداوي العلة او يقلل المحنة أو يقلب الحنظل عسلا عند الركون الى تبرئة الذات بقلة الحيلة في تجبر العتاة عليهم . وذلك لسببين حاسمين أولهما ان طبائع الاشياء وطبائع المجتمع جعلت من تلاشي الظلم واختفاء العدوان كما يتلاشى الدخان بذاته أمراً متعذراً شأنه شأن عطب عصارة الطماطم فهي لا تصلح بتوالي الايام ولا يفيد التفريق بين هذا وذاك فلابد من التصدي لاصلاح الحالتين والا كان دوام العطب والعدوان ضربة لازب فالجماهير الطيعه لقبول الاعتداء هم وقود مكينة المعتدين والسبب الثاني هو أن المقهورين أنفسهم يظلم بعضهم بعضاً وقد يعينون الظالم في احوال غير قليلة ويتزلفون اليهم بتقريع المظلوم ، وللحديث بقية .

العراق

١٩٩٥/٨/٥

من النملة .. فصاعدا

مسعود محمد

فلا غرابة بعد ذلك أن أفضي من دنيا النمل الى أي موضوع اخر يستأثر باهتمامي في الذي هو موضوع فيزياوي أو بايولوجي أو بشري وتلك العوالم الثلاثة هي مجموع الكون بظاهره و باطنه فيما بلغه علمنا بحقائق الاشياء فانا اذ أحرص على سلامة النمل من غائلة خطاي أكون مؤهلا للحرص على سلامة

محتويات البيت التي بدونها لا يوجد طبخ ولا تبريد في الصيف أو تدفئة في الشتاء ثم يمتد حرصي الواقي من التلف الى مقتنيات الناس الآخرين ان لم يكن بحراستها فبالامتناع من اتلافها وذلك أضعف الأيمان وغني عن البيان أن الملك العام في مجموعة هو قوام ديمومة المجتمع فلولا أن مصلحة اسالة الماء تمد بيتي بما احتاجه من الماء لاستحال علي أن اشرب أو أطبخ أو اغسل أو استحم بماء دجلة على بعد عشرة كيلو مترات حتى بفرض اني املك سيارة فلولا جهة رسمية تكفل وجود شوارع مبلطة وفسيحة لاستحال وصولي ووصول غيري من اصحاب السيارة الى ضفاف دجلة .. والكهرباء كيف يكون تحصيلها وقد صارت بمقام جهاز الدم والهضم للكائن البشري من دون حكومة ؟ أو شركة تتكفل بها ؟ والكلام في هذا الباب لا يزيد الموضوع وضوحاً لأنه واضح بنفسه وغني عن البيان .. وهكذا تجدني مرتبطاً بالدنيا من حولي في كل تفاصيلها فلم تكن النملة الا نقطة البداية لخيط متصل من الاهتمامات المتشابكة المتواصلة ، بعضها يعين بعضا وبعضها يعيق بعضاً أو ينقضه أو يغنيه تماماً .. أقول لك الحق إذ أقول إني في ارتباطي الدائم والواعي بالموجود الاقرب حتى الكون الأبعد على نحو من الشعور المركز بوقوعي في وسط دائرة الموجودات مشدوداً اليها ومشدودة اليّ بالمعايشة الحية الساخنة بلا انفصام أو ذبول وعلى درجة من القوة توهم بالتفاعل والالتحام ، يتولد عندي احساس شبه صوفي يتناغم ممتع مع لحن (الكينونة العامة ـ المطلقة) الراضية بذاتها والمستريحة الى نفسها فيحصل ما هو مستغرب بل مستبعد [ان لم أقل : متعذر] من اختفاء أقابح الصور وراء هالات من الجمال الفياض المتفجر في دخيلتي على الواقع المشهود والمحسوس معاً فاستمرىء الحالة الوجدانية الرائعة هذه ، أكافىء بها روحي من احتمال الأحوال المتوترة بما لايسر . غير ان هذه الحالة الروحية المتخمة بأنبل وأجمل الاحاسيس الى حد اختفاء القبح في ملكوتها هي ذاتها عنصر خطير من عناصر حثي على استقامتي في السكة ومساهم بنسبة مئوية مرتفعة في خزين الزاء المعنوي الذي يستوقف خطوتي المتعجلة عن سحق النملة المسخرة في مطاليب الحياة بل هو يعمل عمل المرآة المقعرة التي يقوم احد وجهيها بتصغير المرأيات المرتسمة فيها ويقوم وجهها المحدب بتضخيم انعكاسات الاشياء فيها فاذا كانت الدمامة تختفي في الحالات المذكورة انفاً فانها تبدو بتفاصيل قبحها وشرها لنظري المتفحص في معتاد الاحوال فتجدني متوجساً على الدوام من احتمال انقلاب الخير الى شر والجمال الى قبح .

العراق ١٩٩٥/٨/٩
العدد (٥١٤٢)

من النملة فصاعداً

□ مسعود محمد

أعلم ان معادلات الاذعان والارغام ذات عوامل كثيرة متداخلة تتحقق بها أعجوبة سكوت الناس لاكثر من ألف سنة مليئة بالظلم والاهانة على حين تتصدى احادها لخطر الموت اذا مستها كلمة مهينة من مسكين وترفع يدها بالتحية اذا شتمها ظلوم غسوف ولكني اعلم أيضاً [او بعبارة اخرى : أرى وأعتقد] أن وجود العوامل والاسباب والمهيئات لا يخلى المسكين كل الاخلاء من التطوع بقبول نزوة القاهر على حين يصارع مسكينا مثله فيما هو دون النزوة بمراحل فليست جميع الاسباب تكون مبررة لفقدان المنطق او الاتزان في التصرف حتى نقبل بطولة المسكين مع مسكين مثله ثم نهنئه على جبنه الشائن ! قوي فليقتصد في هذا الافراط والتفريط ليكون وسطا بين البطولة والجبن وانا على يقين من انه اذا عود القارىء نفسه مثلي على انعام النظر في الامور الصغيرة من مثل إنصاف النملة صعوداً الى ما هو أهم وأكبر من الاحداث والقضايا حتى نهاية الخطورة في السياسة والاقتصاد والعقيدة والحرب والثورة لوافقني فيما أذهب اليه من قياس الامور وتقويمها بالمعيار الموضوعي الذي لاتحيز فيه ولا تحامل فهو وحده طريق الوصول الى سلامة الحكم في اعطاء كل ذي حق حقه ليبلغ اخيراً درجة الاقرار على نفسه أو عزيزه اذا كان محقوقاً . ان ماثورة (قل الحق ولو على نفسك) تصبح بلا محتوى وغير ذات موضوع اذا شاع ما ادعوا اليه من تعويد النفس على الرضوخ للحق ، عندئذ تصبح ماثورة (قل الحق ولو على غيرك) هي المجدية لما في مصارحة الغير بما لا يشتهي من حرج لا يوجد في مصارحة الذات بعد تعودها عليها .

ماقلته في الاسطر الاخيرة هو قصاري مراتب الصراحة في الحق ، وهو غير مؤذ وان يكن اتباعه بالغ الصعوبة لاسيما في أمور تتصل بضياع المصلحة أو بعث البغضاء والعداوة . ولست اجد عيباً في تمجيد شيء نبيل يصعب قبوله أو تحقيقه فاننا اذا حذفنا من قاموس الادب والفن كل ادعاء وطلب وهدف ورسالة داخلة في حدود التعذر لاقفرت دواوين ، وكتب وتشكيلات ما حوت الا المستحيلات الحلوة .

العراق ١٩٩٦/٨/١٤

من النملة .. فصاعداً

مسعود محمد

قلت في اكثر من مناسبة ، منها مناسبة هذه الحلقات ، ان عالم الطبيعة خال من الرحمة والعدالة ، فالفيزياء الميتة وهي الحقيقة الضخمة التي لا يبدو الى جنبها عالم الأحياء كذريرة رمل في صحارى الارض كلها ، ليست محتملة في موتها [اي : انعدام حيويتها] للمعاني المجردة الطارئة مع الحياة فلا رحمة ولا قسوة . ولا دمعة ولا ابتسامة لها ظل في عالم الموت ، حتى ان ما نسميه (التناقض) في حساباتنا العقلية والعاطفية معدوم بالمرة في الكون الميت اللا متناهي فالذي يحدث في القمر أو الشعرى أو فيما وراء المجرة من نشوء أو انفصام ومن تجمع وتفجر نتائج دساتير تعمل منذ الأزل بلا رغبة في شيء أو كراهية لشيء فاذا نشات الاسباب جاءت النتائج تحصيل حاصل مفروغ منه وحتمياً لا راد له ؛ ولو انفجر الكون كله لكانت الحالة التي تحصل بعد الانفجار بديلاً مجزياً ومساوياً للذي حصل انتهاؤه وسينشأ عالم جديد هو في أظهر الاحتمالات المرئية لاذهاننا شبيه بالعالم الذي انفجر فاذا خاب هذا الاحتمال ونشأ عالم مختلف عما سبقه فالكون يبقى حيث كان بحقائقه ومكوناته الازلية ، وغاية الفرق أن الانفجار أخرج الى الفعالية كيفيات اختفت مقادير مكوناتها أو تغيرت طبائعها بالمقدار الذي كان كفيلا باحداث تغيير في طبائع الفيزياء لما بعد الانفجار .. ولا نخوض في مجاهيل تلك الاحتمالات الافتراضية ولا أملك أنا حقاً في مناقشتها إلا من زاوية البديهة البسيطة التي تدفعني الى رأي في بساطة البديهة نفسها وهو أن (الطبيعة ، الفيزياء) ستبقى في أظهر احتمالاتها من حيث عدم وجود ارادة مستقلة عن حكم دساتيرها الازلية أو المستحدثة ، ستبقى كما كانت ألية التصرف ، خالية من العواطف التي نرتاح اليها أو نضيق بها .. وكل ذلك كلام معطل من إحداث أثرة وغاية أمره أن يزوى نظر المتفرج عن بؤر للرؤية المألوفة . وقد يكون . الى حد ما . شبيها برفع الشخص الى ما فوق طبقة الهواء ليرى السماء ليلا حالكاً والشمس طالعة والنجوم تلمع الى جانب الشمس فكان الحقائق انقلبت وهي ما انقلبت ولايحزنون وإنما انقلبت تصور ذلك الشخص للدنيا بما وافق حقيقتها .. وأقصد بالدنيا هذه المساحة المحدودة بالمرئيات وهوامشها من الدساتير والصفات .. الخ

فالرحمة والعدالة والانصاف بدع بشرية اهتدى إليها الانسان بعقله الواعي للتجريدات الخالصة ولقيم مجردة في السلوك والمعايشة هي أشكل باجتماعياته في كل مرحلة للتطور وجد فيها نفسه أو محيط يطلب نواميس توافقه وبقيت غرائزه حية ولكن مشكومة بكوابح من المصلحة الناشئة مع التطور أو النابعة من الحومة .. اما ، تراه من حنو القطة لصغارها فانه من مقتضيات دوام النسل فهي لاتلبث بعد شهر او شهرين ان تفطمها وتقسو عليها تهيؤاً لمخاض جديد في موسم التناسل . وذكر القط تنتهز غفلة الام لتاكل الصغار في وجبة شهية خفيفة الكلفة . وفي المسالة تفصيلات وتفريعات لاتخرج عما قلته من انحصار العدل والرحمة بالبشر وحده . وقد يحصل شذوذ في بعض الحالات أو عند بعض الاحياء ولكنه لا يخرم القاعدة في عمومها [طائر اللقلق ذو تصرف يبعث على الحيرة في حالات الخيانة الزوجية وقد بلغ علمي حادثان في هذا الباب احدهما وقع في رانيه والثاني في قرية « ألجه » القريبة من أربيل ، وكلا الموضوعين قريب من مسقط رأسي ومسكون بقرابتي واذكر الحادثين بوضوح تام] .

العراق ١٩٩٥/٨/١٦
العدد (٥٨٤٨)

من النملة فصاعداً

□ مسعود محمد

إنا نوالي ربيب الفكر من الرحمة بالنملة الى ملاحظات وتعليقات في أمور يتداعى بعضها الى بعض في خط مطرد أو بتداع الى النقيض فكله ميدان واحد : وأول ما يجلب الانتباه هو أن وجوب الاعتناء بشيء صغير كالنملة لا يحصرنا في زاوية الرحمة ونقائضها فقط ففي الحياة اليومية للفرد والاسرة وسكان المدينة والريف حكومة وشعبا أمور صغيرة لاتعد ولا تحصى يجب الالتفات اليها ومنحها ما تستحق من عناية وان تكن في غير وادي المشاعر الانسانية المركزة فاذا ترك الشخص حنفية الماء مفتوحة لغير حاجة ولم يتكلف عناء سدها فهو في أظهر الاحتمال يتصف بما يلي : لا يحترم الضعيف غير متحمس بالآم غيره [illegible] ف القوي قياساً من اهماله الضعيف غير أمين على الوديعة يؤخر مصالح الناس اذا كان موظفا متساهل في نسيان الوعود .. والامثلة في هذا الباب أكثر من الهم على القلب ويكفى أن اضيف مثالا صغيراً اخر الى سلسلة الكلام وهو أن خصلة الميل الى الزيادة والنقصان في نقل الاحاديث والاحداث كثيرا ما تؤدي الى عواقب وخيمة جداً .. من نحو سبعين سنة وكنت طفلاً في مرحلة ما قبل الابتدائية أقدم خادم في بيت عمي على قتل زوجته البريئة عقب كلام مجرم قالته له امرأة من اهل المحلة اذ سالته ماذا تفعل زوجتك في بيت فلانة مع فلان ..؟ حتى إذا قتلها رغم محاولة اهل الدار لمنعه تبين له ان فلاناً المزعوم لايوجد في الدار ولا في المحلة كلها فجاء الى عمي باكياً نادماً وفي يده الخنجر الملوث بدم البريئة والتمس منه أن يسلمه للحكومة .. بعد عشر سنين من السجن خرج مهيض الجناح وكانه خارج من القبر ولم يعش الا اشهراً معدودة فقد مات قهراً وندماً ، إن عامة الناس أقصر باعاً من ان ينشغلوا بالمسائل الخطيرة في بلادهم بالعالم الثالث فلا عذر لهم اذا تهاونوا في المسؤوليات الصغيرة التي تملأ خارطة حياتهم أو جاوزوا حدودهم الى حدود جارهم مهما يكن التجاوز ضيقا فانهم لبعدهم من جسام الامور يملكون مساحة واسعة جداً لموازنة ما يقولون ويفعلون من التوافه وإن يومهم ليمدهم باضعاف ما يحتاجونه من وقت للتفكير في الذى يجوز والذي لا يجوز وتقدير النتائج لعبت النزوة وغفلة الاستهانة بما يسر أو لايسر الخلق الذين يحتكون بهم أو يتعاملون معهم فاذا أعجب احداً ان ينعش مزاجه على حساب مزاج الاخرين فليعلم انه هو نفسه مرشح ليكون موضع سخرية تريح الساخر فالكل (من الهم شرق) كما قال شاعر شرقي .. ان المسؤوليات الصغيرة التي يغفلها الانتباه هي على أقصى درجات الخطورة لانها لحمة حياة سواد الناس وسداها فلا يملكون غيرها ليهون التفريط فيها ان القادرين على ممارسة الامور الخطيرة قادرون على الاستخفاف بهمك وهمي ولكنهم بدورهم أسرى شبكة نسجوها وينسجونها من عظائم الامور لايفلت منها (إلا من رحم ربي) وذلك موضوع لحلقة قادمة .

العراق: ١٩٩٥/٨/١٩

من النملة .. فصاعداً

مسعود محمد

وليس مما يترتب على انحصار الرحمة والعدل بالبشر ان يكون افراده كلهم رحماء عدولاً أو اعداء للرحمة والعدالة بنسب متساوية فهم اذ يختلفون في تفاصيل اجسامهم حتى انه يكاد يستحيل ان تتشابه أنفان أو أذنان أو عينان في الفرد الواحد كل التشابه ، كان من المنتظر والمحتوم أن يتفاوتوا في الصفات والخلائق والمنازع فضلاً عن وجود اسباب قويه خارج وجود الفرد تؤثر فيه وتوجهه وتدفعه أو تردعه في تفصيل لا يحاط به هنا . ويجب بيان حقيقة هامة أخرى وهي ان صوراً بليغة القبح من تصرفات وقناعات الناس التي لا علاقة لها بالجانب الغريزي للانسان هي بنت جانبه الواعي الذي يميزه عن سائر الاحياء فتراه يلطخ وجهه بالروث في عبادات ضالة ويهلك ذاته في خدمة مشعوذ دجال ويغرق في القسوة والفتك حتى يجاوز ضراوة الذئب والضبع فيشق بالمنشار طفلا رضيعاً بحضور أبويه ... الخ

تجد من هذا المنظر المعروض على عينك مدى الفرق بين اجتناب اهلاك نملة في خطوة متسرعة و بين شق الطفل بمنشار فهو منظر لا يحتمل له عنواناً الا ما اخترت له من « نملة .. فصاعداً » سواء أكان الكلام في زيادة القسوة ام في زيادة الرحمة . وواضح من مجمل الصورة أن الطريق ممهد أمام القائل والكاتب في تبليغ ما عنده من رسالة انسانية ليسلك احدى الطريقتين في مناهضة الشر إما بقصر الكلام على شجب الشر وتجريمه وفضح مقترفه أو بالاقتصار على التغزل في الفضائل وتحليتها في مذاق المستمع فهاتان هما الطريقتان المتميزتان الاصيلتان تتولد من امتزاجهما طريقة ثالثة هي الجمع بين الدعوة الى الفضيلة وبين لعن الرذيلة . ولئن كانت هذه الطرائق كلها عبارة عن هواية حلوة ونبيلة قد تتبعثر مزقاً في يد شرطي يقود بريئاً الى زنزانته فما دمنا منشغلين بمجهود نظري عقلاني في موازنة الاشياء وتحديد معانيها ومقاديرها في مراتب الخطورة فلابد من التاكيد على التصدي لقهر الشر وشجبه لانه في أظهر صوره بلاء قاتل ومدمر وهو بحد ذاته خليق أن يستنفد قسطاً عظيماً من الفضائل في جبر ما يكسر وأقامة ما يهدم وتعديل ما يلوى . والحبل على الجرار ويمكن في التمثيل على ذلك بان نزع المسدس من يد القاتل أوجب بمراحل من الانشغال بمداواة ضحيته بعد اعتدائه عليه ولا ينقض هذه الحقيقة كون تحقيقها صعبا للغاية او دخلاً في التعذر .. ثم ان الفضيلة في ميدان منع العدوان بالاقتصار على ما تستوجبه من التطوع والتبرع خليقة ان تستقطر اخر قطرة من طراوة المتبرع وقدرته على العطاء فيجف عوده بتقديم اخر كمية من دمه الى جريح فيفاجئه جريح اخر طريا وطازجاً من مسلخ الشر والجريمة .. ان اقتراف الشر أسهل من الالتزام بالفضيلة لسببين في غاية الوضوح ، أولهما أن الشرير يغتني بالسطو على الآخرين على حين يفلس الفاضل اذا بالغ في التطوع وثانيهما « ان النفس لا مارة بالسوء » وتحلو ثمرات السوء في مذاق مقترفه لانها لذيذة في ذاتها وتبقى لذيذة حتى بفرض انها جاءت من طريق الحلال .

وللحديث صلة ..

العراق ١٩٩٥/٨/٢٢

من النملة .. فصاعدا

مسعود محمد

على قدر خطورة المقام الذي يشغله الفرد تكون ضخامة المحصول السلبي لقلة اهتمامه بما سميته الامور والاعتبارات الصغيرة ويمكن تشبيه ذلك بمدى الفرق بين مغبة اهمال حارس البنك وبين اهمال الشخص المؤتمن على حلب معزة في وجبة الظهيرة فاصحاب القدرة المتعاملون مع مصائر الناس يفقدون الاحساس كلية بخطورة الاعتبارات الصغيرة في مجموعها وفي كل اعتبار متعين بالذات ذلك ان مواضيع فعالياتهم واهتمامهم ، بل وارتباطهم المصيري بها ، تقوم سداً مانعاً من نفوذ النظر الى تلك النمنمات الهشة التي تملأ حياة المواطن الاعتيادي وما يمكن ان يؤدي اليه اهمالها وتراكم سلبيات هذا الاهمال من نتائج قد تكون بضخامة مجموع تلك التفاهات فالمالكون لمقاليد الامور يجدون تلك التفاهات من مثل السكن والمأكل والونسة واطايب اللذات مركونة في ابوابهم مثل بيادر الشعير في السنة الخصبة وقد يكون الكثيرون منهم انصاف امين حتى وجدنا شخصاً مثل (بجه سقا) ارتفع من قعر المجتمع الى مقام الملك بافغانستان في بعض اعوام العشرينات ـ كما اتذكر ـ وبرز من نحو عشرين سنة او يزيد في بعض اقطار افريقيا المبتلاة بنفسها واحد من منتسبي القوات المسلحة فاستولى على الحكم واشتهر بالمارشال الراقص فما لبث ان قضى عليه الرقص .. منغيستو مريام انقلب على ولي نعمته واغرق الحبشة في الدم والنار ثم انهزم بثروة معقولة ومقبولة الى بعض املاكه المشتراة خلال حكمه في واحدة من هاتيك الديار في الجوار فكان من الغانمين حتى يومنا هذا ولا ندري ما يكون من مآله . هؤلاء المستولون على المقادير مغامرون لم يكن من منهجهم ولا في مستوى تفكيرهم الالتفات الى دقائق الامور المالئة لحياة المجتمعات واهتمامها ، ولو قدروا ان يلاحظوا خطورة الشلغم والعلقم في المدى البعيد لما اختاروا ابتداء طريق المغامرة ، فالشلغم واخواته لم تكن في نظرهم اكثر من وسيلة لاثارة اهل السوق والحارة ضد السلطة التي خابت من توفيره وتوفير اخته الطماطم ، حتى اذا وصل احدهم الى الحكم فاختفى الشلغم واخته حطم رأس اي واحد يجار بالشكوى وتذرع بالمصالح الكونية والمصيرية التي هو يدعي الاهتمام بها لتحطيم القرى والمدن على ساكنيها اذا شغلته عن رسالاته الانسانية والقومية ، الى نهاية المقامة السياسية وهي تدور حول نفسها كالاسطوانة المشدوخة بلا نهاية .

العراق ١٩٩٥/٨/٢٦
العدد ٥٨٢٢

من النملة .. فصاعداً

□ مسعود محمد

قلت في لذة المال الحرام انها تدوم ولو جاءت من طريق الحلال ذلك ان مقترف الحرام يلتذ بالمال نفسه وبأسلوب المغالبة والغصب الدال على فضل قوة يجاوز بها حدود الخطر فترتاح له نفسه الامارة كما ارتاحت جوارحه فتتم الفرحة مادياً ومعنوياً وليس في ممارسة الحلال هذه المجاملة الهمجية للذات الشرهة .. لقد كانت حكمة بالغة من الرسول (ص) أن رصد لمجاهدة النفس مقاماً فوق العبادات اذ سماها (الجهاد الاكبر) وهي تسمية صادقة حقيقة لا مجازاً ، فاذا كان رعاة الابل والصعاليك وأهل البداوة يجازفون بأرواحهم في الاغارة على الاموال والاغراض ويهلكون دونها ولايرتدعون فان القدرة على فطم النفس عن شهوة ثمنها الحياة نفسها هي جهاد وراء كل جهاد لاسيما لانها تدوم بدوام العمر حتى نهايته والا لم يكن جهاداً أكبر !! فلا جهاد في التوقف عن الحرام يومين أو اسبوعين ليأتي استئناف الولوغ في الدماء والاغراض بزخم مضاعف نتيجة حبس الرغبة المحتدمة ..

لاجرم ان الايمان بالكف عن الاذى أولاً وبشجب الاذى مطلقاً ومناهضته على قدر الامكان في مقدمة الفضائل الانسانية كلها لانه بر ورحمة وعدل يعم الناس وليس من قبيل الادعية والتعاويذ التي تنفع ممارسها فقط ، فاذا خامرك شك فيما أقول فضع نفسك في الامتحان لنرى ان كنت تفضل قاضياً يزيد في صلواته ويطيل في عباداته ثم يحبسك اذا حبست عنه الرشوة . على قاض ينصفك بلا رشوة ويفعل في خلوته ما لاتعلم أو تعلم من ظلم لنفسه بالتهاون في الفروض وكيف يكون رأيك اذا كان روحك لامالك أو لحريتك في ميزان القاضي ، ومذا تقول اذا كان وحيدك مهدداً بالاعدام في يد قاض قبض من عدوك ثمن حياة وحيدك والقاضي يحج في السنة مرتين لا مرة واحدة ؟

خذ أمثولة الرحمة من النملة الصغيرة الصفراء برفع اذاك عنها ، وأرح ضميرك بمساعدتها على النجاة من مأزق أحاط بها فاني ولا فخر إذا وجدت بعضها قد احاط بها ماء الجدول في البستان مددت عوداً يصل بين موضعها وسط الماء وبين ضفة الجدول فلا تلبث ان تهتدي الى سبيل النجاة .. يروي أن شخصا رأى في المنام سيدنا الامام عليا وسأله : بماذا من عملك أدخلك الله الجنة ؟ فقال : بتركي ذبابة حطت على يراعي حتى ارتوت من طراوة حبره !! اني والله لتعروني قشعريرة وأنا اكتب هذه الكلمات وهي في مراتب تحريك الانفعال بالدرجات القريبة مما هو معتاد الامور فما بالكم بالذي فعله الرسول يوم فتح مكة اذ قال لاعدائه التاريخيين وهم صاغرون أمامه : ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ اذهبوا فانتم الطلقاء !! ان امثولة النملة والذبابة على صغر شأنهما وهو ان وجودهما على الناس هي باب يمكن ان يتسع لمرور الكون كله من خلاله في ملكوت وعي الانسان « ففيه انطوى العالم الاكبر » بنوره وظلامه وقبحه